

سلسلة مقالات الانبا ساويرس
البطريرك الانطاكي

٣

الصوم

١٩٦٩

يوسف حبيب

عليه حبيب يوسف

سلسلة مقالات الأنبا ساويرس
البطريرك الأنطاكي

٣

أقوال الآب القديس ساويرس بطريرك انطاكية
(٥١٢ - ٥٣٨)

الصوم

مترجم عن الفرنسية من الجزء الثامن من مجموعة :

Patrologia Orientales R. Graffin - F. Nau
Les Homélie Cathédrales de Sévère d' Antioche
publiées et traduites par Maurcie Brière Paris 1941

وترجمناه إلى العربية لأول مرة ١٩٩٩ .



غبطة أيينا المكرم الانبا كيرلس السادس
بابا وبطربرك الكرازة المرقسية

مقدمة

التى القديس ساويرس (٥١٢ - ٥٣٨) هذا الخطاب في أول صوم الاربعين المقدسة باللغة اليونانية وترجمها إلى السريانية في القرن السادس يعقوب الرهاوى ونشره وترجمه إلى الفرنسية موريس برييه سنة ١٩٤١ Maurice Brière ولم تترجم هذه النفاثس إلى اللغة العربية ، فترجمنا هذا المقال عن الفرنسية من الكتاب الثامن من مجموعة :

Patrologia Orientales R. Graffin - F. Nau
Les Homélie Cathédrales de Sévère d' Antioche

وقد تكلم وكاتب كثيرون من القدامى والمتأخرين عن الصوم ، لكن لم يأت أحد بمثل هذه الروائع الروحية والنفثات الطبيعية نفيض من فم ذلك الآب كالماء الزلال يرتشفه العطش فهتمون من أقصر الطرق وأفضلها ، فيشعرون بالانتعاش بعد الجذب . وكلته قادرة أن تحي العطاش وتوردهم موارد الخلاص لأن فيها قوة الروح وجمال النعمة فضلا عن بلاغة الأسلوب وبراعة العرض التى اشتهر بها القديس ساويرس. ولا تزال مسحة هذا الجمال الأدبي ودقة هذه المعاني بارزة في النص العربى بالرغم

السمو بالنفس لاستقبال الصوم

كيف يستطيع أحد أن يتكلم عن الصوم كما يليق ، ان لم يمارسه ؟ وكيف نمدكم أن الصوم وليمة روحانية ، إن لم نقم أمامكم مائدة غير مادية ؟ وبالاحرى كيف لا نحسب أننا نختبر المראה بالصوم خير من أولئك المهتمين بطونهم ، إذا كنا لا نظهر فرحنا في أقراننا فيما نغذيكم به ونغذي أنفسنا ، حسب تعبير ربنا الذي قال في الأناجيل : « طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وإتم عمله » يو ٤ : ٢٤ . كان يقول هذا ، بعد حديث طويل مع المرأة السامرية ، حينما كان تلاميذه يلحون عليه لكي يأكل خبزا .

ان الكلمة في الواقع هي طعام الروح الحقيقي ؛ لذلك باقتباس كلمة صاحب المزامير « تبتهج شفتاي إذ أرقم لك ونفسي التي فديتها ، حز ٧١ : ٢٣ ، بل « تبتهج شفتاي » ، إذ أصوم إكراما لك لأنه ينتج عن صومنا ، أننا نرتل بحكمة . كما أن الصوم نفسه يظهر فم الحكيم ويظهر آذان السامعين ، ويميل على النفوس تقدير الاشياء السماوية ورفض كل ما هو جسدي وأرضي .

ومع ذلك ، يوجد أناس جسديون في فهمهم حتى أنهم يدعون « جسدا » ،
Il sont la chair même .

من أنه لم يترجم عن النص اليوناني مباشرة بل انتقل من اليونانية إلى السريانية إلى الفرنسية ومنها إلى العربية وان الالفاظ حاملة للدعوى محلقة بها من أجواء بعيدة مختلفة .

وقد مهد للصوم بذكر حالة الإنسان الأول وسقوطه واقامته بطريقة واضحة تبين الحكمة في الصوم وما فرضه الله إلا ليقيل الإنسان من شرته فينهض وقد طرد من روضه الخوف والحزن على حد قوله وأصبح جذلا فرحاً . ثم يبين فضائل الصوم وفاعليته في حياة الرسل والقديسين ، مع أنباء شيقة عن القديسين تجلو حقيقة الصوم .

يوسف حبيب

مليكه حبيب يوسف

يتركون غنى قلوبهم يفساب كما يقول الكتاب المقدس :

« فانه من فضلة القلب يتكلم الفم » مت ١٢ : ٣٤ . « الانسان الشرير
الصالح من كثر قلبه الصالح يخرج الصلاح والانسان الشرير
من كثر قلبه الشرير يخرج الشر . فانه من فضلة القلب يتكلم فمه »
لو ٦ : ٤٥ . « انهم يقولون في سر اهتمهم وجههم : « ماذا ينتفع
الله بصومي ؟ ، إذ لم أكن موجوداً ، أوجدني فلماذا خلق لي
أطعمة من كل نوع ، إذا كان الصوم لزاماً عليّ ؟ هل يسر الخالق
كلى الجرد أن أعلن الحرب على نفسي ، وأن اجعل جسدي نحيلاً ،
فأهلكه بالصوم والجوع وأرغمه على كسر الرباطات التي
تربطه بالروح ؟

أما أنا فيذهلني أن اسمع أولئك الذين يتكلمون بهذا الأسلوب
وانني بعيد عن موافقة هؤلاء المخاضعين التعساء الجديرين
بالسخرية . انني اسمو بنفسى لاستقبال الصوم كملك آت من السماء
وأحبيه بكل احترام واكرام . اني أرتفع بنفسى إلى الذكريات
القديمة وأتعلم منها ، بقدر الامكان ، ما هو سبب خلقتي وكيف
كانت روح الإنسان في كرامته الأولى .

لكنه يجب أن تبدأ من قبل ذلك قليلاً .

الله كلى الجود :

Dieu, bienheureux et seul puissant pour parler
comme Paul, qui apparait dans le Père, le Fils
et le Saint-Esprit, dans trois personnes distinctes
et cependant dans une seule et même essence, qui
seul est sans Commencement, éternel, sujet à
aucun besoin, en tant qu'il est parfait en tout
par nature, dans une effusion suprême et remar-
quable de sa bonté, quant cela lui a semblé bon,
a créé le monde supérieur et spirituel, je veux
dire les anges et les esprits administrateurs et
immatériels .

إن الله الواحد اقدير العزيز ، كقول بولس الرسول
« المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الارباب » ، آتى ٦ : ١٥ .
أى الآب ، والابن ، والروح القدس ، ثلاثة أقانيم متميزة لكنهم
جوهر واحد ، ليس له بداية ، أزلي ، لا يخضع لشيء . إذ هو
كامل في كل شيء بطبيعته ، مظهره جوده بطريقة فائقة تسمو فوق
الكل ، حينما سر بذلك ، خلق العالم العلوي والروحاني ، اعنى
الملائكة ورؤساء الملائكة الروحانيين غير الماديين . أراد أن
يشركها في السعادة وفي النعيم الفائق العظمة الذى ينبع منه بوفرة
بسبب سخائه للذين يملكون فيفيض النعمة حتى يمتلئوا بالنور الباهر

الذى يثبت منه كما من يسوع فيمجدونه بغير انقطاع دون أن يشعروا مطلقاً بتساوي سماوية وترانيم البهجة كما يقول النبي في الزمير : « هلم فرنم للرب نهتف لصخرة خلاصنا . نتقدم أمامه بعبادته وبترنيمات نهتف له » مز ٩٥ : ١ - ٢ . لأنه بالحقيقة عيد ووليمة دائمة أن نسيح الله بدون توقف .

أراد أيضاً ، كما كتب بولس الرسول ، « لكسى يعرف الآن هند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة » اف ٣ : ١٠ ، أن يظهر على التسواى تنوع حكته السرمديّة وأن يمنح السرور بصفة خاصة للآقوات السباوية ويبين لهم انه يستطيع أن يخلق ، ليس فقط الطبائع الروحانية غير المادية التي تحسب بذلك كأنها قريبة منه ، بل أيضاً تلك التي تكون هربية تماماً عنه ، بعيدة عنه ومحرومة من قربه وليس لها اطلاقاً أى شبه أو شركة معه ، فأخرج من العدم هذا العالم المادى المنظور . أعطى السماء نجومها المختلفة ، زين الأرض بالاشياء الجيلة التي زارها على سطحها ، أكل كل ما هو موجود بداخلها ، ألجم البحر . . . جمع المياه في مجمع واحد كما هو مكتوب : « وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء الى مكان واحد » تك ١ : ٩ ، أحاط الأرض بالبحر ونظمها بحيب يمكن للياه أن تنزل عليها وتتدفق حولها : « لأنه على البحار اسمها وعلى الأنهار ليتها »

مز ٢٤ : ٢ . رتب العناصر ، الأرض والنار والماء والهواء ، وأمرها بحكمة حتى يمكنها أن تختلط بعضها ببعض وهكذا وضع جمالا مزبداً بإنسجام كل هذه الاشياء واختلاطها بعضها ببعض دون أى قوضى ، ويمكن القول بأنه أراد أن يظهر مجداً خاصاً من كل خلقه (على حدة) ومجداً عاماً من اجتماعها كلها معاً . ومع ذلك فهو كامل ولا يحتاج لأن يمجده أحد ، لكنه هكذا يميز أولئك الذين يتمدحون المعلم الوفيّر والتأمل ويعظمونه تعالى .

Mais et tire de là l'avantage de grandir chez ceux qui louent l'abondance de la Science et de la Contemplation .

لقد شهد بالفعل أن خلق السماء والأرض وبقاى العالم الذى يقع تحت الحواس المنظورة ، كان سبباً في أن الملائكة زادوا التجيد والتسبيح المختصين باقّه . وقد بين الكل بالجزء ، حينما قال لا يوب : « عندما ترمت كواكب الصبح معا وهتف جميع بنى الله » أيوب ٣٨ : ٧ .

ولما كانت هذه الآفاق بعيدة جداً ومنفصلة ، أعنى العالم الروحانى والعالم المنظور ، ولا يوجد بينهما اختلاط أو شركة ، فقد خلق الإنسان بفعل عجيب ووضع بين الإثنين . شكل أولاً جسداً من الطين ، كما يقول هو نفسه أيضاً لا يوب في هذه

العبارات : « تتحول كطين الحاتم وتقف كأنها يابسة » أيوب
٣٨ : ١٤ . ثم وضع في هذا الجسد نفساً عاقلة روحانية غير
مادية . وقت الذي بعد أن أخذت طيناً شكلت من التراب كأنها
حياً ، ووهبت النطق ثم وضعت على الأرض .

هكذا يذكر الإنسان حقاً بالعالم المنظور بجسده وبالعالم غير
المادى الغير منظور بروحه ؛ وبرقيته ذاك (العالم المنظور) بعين
الروح ، يكتشف حكمة الخالق الطاهرة في كل منهما ، ويشعر
بالفرح والتلهيل ، عند تفكيره في أنه يسكن على الأرض مثل
ملاك أخسر ، فيكون في نفس الوقت منظوراً وغير منظور ،
ويظهر في ذاته أكثر من الملائكة بالعقل الذي لا يمكن لحسه
الذي لله الحكيم وحده .

هو ذاته في الواقع روح وجسد وهو منظور؛ وليس متقاداً
في عقله على الإطلاق بسبب الاعتماد بالجسد ، وأنه أيضاً ليس
منحياً أو مائلاً إلى أسفل من جراء حركات الروح العاقلة ؛ لأن
له جسداً ضعيفاً طاماً ، متجهاً إلى فوق ، يتبع الإرادة المستقلة
للروح كأنها سلطان يستمد منها التوجيه .

لذلك في الواقع نتج عن اتحاد العنصرين كائن واحد ، وما
كان ذلك ليتسلط من هو أدنى ، بل الأعلى .

لأن ما قاله الحكيم : « لأن الجسم البالي ينقل النفس . والمسكن
الأرضي ينقل العقل الكثير الاهتمام » سفر الحكمة ٩ : ١٥ . هذا
لم يحدث إلا بعد تعدى الرصبة ، وبحدوثه حكم على الإنسان
بالسقوط من الفردوس ، وبالضايقات وبالنعاسة وبالاحزان
وبفساد الموت ؛ فكان يسمع فعلاً : « وشو كما وحسما تلبت لك
وتاكل حشب الخلق . بمرق وجهك تاكل خبزاً حتى تعود الى الأرض
حتى أخذت منها . لانك تراب والى تراب تعود » تلك ١٨ : ٣-١٩ .
لمن قبل أن يعصى وصية الله الذي كان يتمتع حرته ، كان مكرماً
بنعمة الخلود ؛ لأن الذي قال : « لأن الجسم البالي ينقل النفس »
قال قبل ذلك بقليل : « فإن الله ما صنع موتاً ولا يطرب بهلاكه
الأحيا . » سفر الحكمة ١ : ١٣ .

ان المموم أيضاً قد سادت بسبب الخطية والشر ؛ ومكتوب
فعلاً في سفر أيوب المملوء حكمة : « الشرير هو يتلوى كل ايامه
وكل عدد السنين العوددة للعالمى » أيوب ١٥ : ٢٠ .

لذلك إذا فإن الذين ينفضلون قبل كل شيء بخلصهم (لأنه
يلزم ضرورة أن تكون لنا إنفضالات وأنه حكم علينا بذلك
بسبب خطية أبيتنا الاول) يحاولون المجد إلى إقتناء الفضائل ،
ويوجهون مهمهم نحو الخيرات السماوية ونحو الرجاء العتيد الآتى ،

كما هو مكتوب في الأمثال : « ليصادف الانسان وبه تكون ولا
جاهل في حمايته » أم ١٧ : ١٢ . يمكن للرجل الحكيم أن يعتربه
م ، أما الجهلاء فإنهم يتأملون دائماً في الشر .

ومن هو الرجل الحكيم إلا ذاك الذي يكون صحيحاً في فهمه
يتأمل الاشياء التي تتفق والمقل والسمويات ، ولا سيما الطريق
للحفظ الحياة الآتية للمعدة للنفس العاقلة ؟ هكذا إذا كان الرجل
الأول يملك هذه الخيرات الطبيعية الممتازة للغاية ، فإنه لم يأخذ
الجسد مثل ثقل أو طاق من رصاص هل سبيل المقصود (كما
تخبره روايات الوثنيين) ولكنه يظهر في طبيعته غير العسادية
حكمة الخالق الذي يسمى لذلك « محب البشر » لا يكره تعالى بأى
حال الخلائق الأخرى : لأنه كأب له مشاعر الرحمة نحوها جميعاً
بل ان الإنسان أكثر الخلائق كلها لإفادة منها . جلست قدرته في
بما ين خليقته يظهر تراباً وحقلاً دون أن يكون هناك فوضى في
اتحادهما الوثيق . لذلك يقول داود أيضاً : « السموات تصعد
بمجده الله . والفلك يخبر بعمل يديه » حز ١٩ : ١ . لكنه يعترف
بأن خلق الإنسان يفوق كل تدبير بقوله : « من خلف ومن قدام
حاصرته وجعلت هل يدك . عجيبة هذه المعرفة فوالى أولفت
لا أستطيعها » حز ١٢٩ : ٥ - ٦ .

من هنا يقين أن نيل الإنسان للفردوس مقاماً يتفق مع هذه
الحياة الخالدة الحالية من كل قلق ، الفردوس العنى بالنباتات التي
تعلى ثماراً تستطيع أن تغذى الذين يعيشون حياة مثل هذه (١)
وتعود هل النفس بالمنفعة واللذة ، كما يقول المثل المقدس :
« الصديق يأكل لشبع نفسه » أم ١٣ : ٢٥ .

حال الانسان بعد السقوط

ومن ناحية أخرى فإنه من المؤكد أن الجسد كان أيضاً
يتغذى مع الروح في نفس الوقت وأنه كان يشمر بالفرح بمشاركة
خاصة بالروح برباط الطبيعة المشترك . في الواقع كما أنه منذ أن
لبس آدم القمصان الجلدية ، بعد أن تعدى الرصية ، قد ليس
الفساء الذي يتبع الحكم بالموت ، والثقل والوزن الذين يأثمان
هنه (٢) ، (والجلد هو علامة الموت) ، أصبحت الأطعمة ثقيلة
منذ ذلك الوقت ، تغذى الجسد ، وتسر النفس وكأنها تطوقها

(١) يذكر القديس ساويرس فيما بعد أن أطعمة الفردوس كانت غير
مادية ، ولالرجح حسب ذلك القول أنه يقصد بالنباتات التي تعلى ثماراً في
الفردوس نباتات المباداة والطاعة ومعرفة وصايا الله التي تعلى ثمار التسبيح
والتهجد والحياة الروحية .

(2) la lourdeur et la pesanteur qui en découlent

بسبب اتحادهما الوثيق ؛ وكذلك أيضاً ، قبل تعدى الرصية ، كان الجسد بسبب خفته وقلة وزنه مرفوعاً ومجروحاً إلى فوق مع الروح في نفس الوقت ، وكان يتغذى مع الروح بأطعمة مناسبة في نفس الوقت . بيد أنه حالياً يجر الجسد الروح إلى أسفل ، فنشتاق بشرارة وقابلية نحو الاطعمة المادية ؛ وحينما كان الروح له الاهمية الاولى ، بفضل طبيعته ، وكان يجر الجسد نحو الخيرات العالية ، كان الإنسان يشتهي باشفاق اطعمة الفردوس التي كانت قبل كل شيء غير مادية ^(١) . وتنتج عن ذلك أنه اتجه إلى ثمرة الشجرة المحرمة ، بعدما لم يكبت شدة الرغبة بالرغم من وصية الله ، وأن عنف الرغبة هذا كان من الروح وليس من الجسد ، وأن ذلك تبيته اغراء الحداع بقوله : « انه يوم تاكلان منه تفتنح اعينكما وتكونان كالله عارفين الخمر والنشر ، تلك ٣ : ٥ . وهذه الرغبة في أن يصير الإنسان لها ، ولو أنها ضرب من الجنون ، وغلبة غير مادية من الروح وليست للجسد .

وإذا قال أحد : « لماذا إذن جعل الله الارض التي خلقها

(١) وبما لا يضي أنها غير مادية فعلا ، لكن الانسان لسكونه غير جسداني أي ليست له شهوات جسدية مضادة للشهوات الروح لا يشر في الأكل بشهوة جسدية إذ كان فرحه بالرب يتطلع كل طلائع .

أولا خضراء يوضعه فيها نبات القمح المغذى والنباتات الأخرى إن لم يكن يلزم للانسان أن يتغذى بها ؟ ، فسوف أجيبه : « ذلك لسكونه أيضاً طيب ، فهو يعد الادوية قبيل المرض . وكيف أنت نفسك لا تترك ما يليق في الوقت الذي فيه تقرر بأن الله يستطيع مثل الطيب أن يتخذ سلفاً الاجراءات وهو الذي يعرف كل المستقبل بوضوح ؟ ولاننا أصبحنا مرضى وسقطنا تحت عبودية الحالة الجسدانية ، فقد أعد الله لنا مقدماً أطعمة مناسبة . ولكن كما أن الطيب يغذى المريض بينما يزيل الاسباب الفعلية للأمراض فيجمله يعود إلى الصحة الطبيعية ، كذلك الله يغذينا من الناحية الجسدية مثل المرضى ، ويجعلنا نعود إلى حالة سكنى الفردوس وفي الحالة الاولى السليمة ، وذلك برسمه الصوم عن هذه الاطعمة المسادية وبتذكركه الروح بكرامتها الاولى بواسطة ناموس والانبياء وأيضاً بوصايا الاناجيل والرسل .

قرر موسى أن يكون اليوم العاشر من الشهر السابع الذي هو يوم التكفير ، يوماً مقدساً مدعوأ ويوم صيام ، أي مدعوأ من الله وليس من اختراع الناس : « ويكون لكم غريضة دهرية انكم في الشهر السابع في عاشر الشهر تدلون نفوسكم وكل عمل لاتعملون الوطني والغريب النازل في وسطكم .

لانه في هذا اليوم يكفر عنكم لتطهركم . من جميع خطاياكم امام
الرب تطهرون . سبت عظيمة هو لكم وتذللون نفوسكم فريضة
دهرية ، لا ١٦ : ٢٩ - ٣١ .

هكذا برأس الرسول أيضاً اطلق على نفسه اسم المدعو
والرسول : « بولس عبد ليسوع المسيح المدعو رسولاً للفرز
لانجيل الله » رو ١ : ١ . « بولس رسول لا من الناس ولا بانسان
بل بيسوع المسيح والله الاب الذي امامه من الاموات » غل ١ : ١ .
لانه ليس من قبل الناس وليس بانسان ، بل بالمسيح يسوع
مخلصنا وخلصنا ، دعى من السماء إلى الكرازة ، وما كان قبل ذلك
رسولاً مثل الآخرين ، وبهذه الطريقة دعا نفسه رسولاً . ولكن
نظراً لأن المبرانيين كانوا في حالة وضعية جداً وكانوا متعلقين
بالجسد ، فكان المدرع يقول لهم : « وتذللون نفوسكم »
لا ١٦ : ٣١ ، وذلك بعد أن اطلق على الصوم ، باعتباره يوماً
عظيماً ، اسم اليوم المقدس المدعو .

وأشعياء النبي وهو يقيمهم من هذه الهوة كان يرفهم
ويجذب عقولهم إلى فرق باعلانه عظيمة الصوم ؛ فيدفعهم إلى
التهليل الروحاني ويطرد من أرواحهم الحزن والحداد ، وهو
يضيح فيهم قائلاً : « امثل هذا يكون صوم اختاره . يوماً يذل
الإنسان فيه نفسه يحنى كالاسلة رأسه ويقرش تحتة مسطفاً

ورماداً . هل تسمى هذا صوماً ويوماً مقبولاً للرب . اليس هذا
صوماً اختاره حل قيود الشر . فك عقد النحر واطلاق السحوقين
احراراً وقطع كل نير . اليس أن تكسر للجائع خبزك وان تدخل
للساكين التائهين الى بيتك . اذا رايت هربانا ان تكسوه وان
لا تتفانى عن حكمك . حينئذ ينفجر مثل الصبح نورك وتلبت
صحتك سريعاً ويسبح برك امامك وتجد الرب يجمع سائقك .
حينئذ تدعو فيجيب السرب . تستغيث فيقول هانذا .
اش ٥٨ : ٥ - ٩ .

لذلك فإن ربنا بينما كان يعلن بهاء وسرور الصوم ، كان
يأمر أيضاً بصوت واضح قائلاً : « واما انت فمضى صمت فادهن
واسك واعمل وجهك » مت ٦ : ١٧ . فكان يشير إلى بريق
وطهارة الروح عن طريق الأعضاء الرئيسية في الجسم . إذ أن
معظم الحواس تتجمع في اتجاه الفكر والسمع ، الذوق ، البصر ،
الشم ، التي بواسطة تكدام ، يياشر العقل نشاطه فتخدمه فيما
يلزم عمله وتعمل معه بطريقة مشتركة إما الشر أو الفضيلة . فربنا
نفسه يأمر أن نفتسل وتنظف بامتاعنا عن الشر ، ومن جهة
أخرى أن ننزى ونضى . بهمارسنا الخير الذي تنيره النعمة الروحانية .
إذن فإنه تعالى يحب الذين يصومون لا لشيء سوى أنهم يمجذونه
من أجل خليقتهم .

بعد أن أطاح الفساد والموت والنقل بالجسد إلى أسفل ،
أصبح الناس كأنما يمشون في الفردوس يغذون أرواحهم
بأطعمة عقلية غير مادية ، ونظراً لأن ذلك يحدث لدى موازته
كففى الميزان ، فإن فسوة دفع الأشياء العالية تجعلهم يقودون
الجسد ليرتقوا به إلى فوق .

من أجل هذا نرى بولس الرسول ، حينما شرع في الكلام
إلى تلاميذ ترواس الذين اجتمعوا حوله لكي يكسروا خبزاً
ويتناولوا الطعام ، نرى الطعام المحسوس ؛ فقد كان يتغذى في
نفسه بالأفكار السماوية ، فأطال خطابه حتى منتصف الليل .
ويمكننا أن نرى حالاً شجرة مثل هذه الفلسفة . فقد كان هناك
شاب يدعى افتيخوس جالساً فوق نافذة ، (وكان للنزل ثلاثة
سقوف) ، فسقط ميتاً . فأقام بولس الرسول هذا الشاب الملقى
على الأرض بأن اضطلع فوق جسده ببساطة . وكان يصبح نحو
الواقفين حوله محارلاً أن يبسط عظمة المعجزة ويكتمها بروح
مترامضة قائلاً : « لا تضطربوا لأن نفسه فيه ، أع ٢٠ : ١٠ .
وبعد ذلك صعد إلى المنزل وكسر الخبز دون أن يتوقف عن
الكلام بأشياء متنازة . بل إن حجر اليوم كان قد لاح بيننا كان
بولس الرسول لا يزال يتكلم ، لأنه كان قد نسي ساعة النوم :

« واما نحن فسافرنا في البحر بعد أيام الفطر من فيلبس
ووافيناهم في خمسة أيام إلى ترواس حيث صرفنا سبعة أيام وإلى
أول الأسبوع إذ كان التلاميذ مجتمعين ليكسروا خبزاً خاطبهم
بولس وهو مزعج ان يمضي في الغد وأطال الكلام إلى نصف الليل .
وكانت مصابيح كثيرة في العلية التي كانوا مجتمعين فيها . وكان
شاب اسمه افتيخوس جالساً في الطاقة منتقلاً بنوم عميق . وإذا
كان بولس يعاطب خطأ با طويلاً غلب عليه النوم فسقط من الطبقة
الثالثة إلى أسفل وحمل ميتاً . فنزل بولس ووقع عليه واعتنقه
قائلاً لا تضطربوا لأن نفسه فيه . ثم صعد وكسر خبزاً واكل
وتكلم كثيراً إلى الفجر . وهكذا خرج واتوا بالفتى حياً وتعزوا
تعزية ليست بقليلة ، أع ٢٠ : ٦ - ١٢ .

وبعد ذلك فوراً أخذ طريقه إلى مكان آخر . كان ينظر إلى
الاعمال التي يقوم بها من أجل الكرازة كأنها شيء مفضل ؛ لذلك
كان يقول مبيناً ذلك بوضوح : « لأن محبة المسيح تحصرنا ،
٢ كور ٥ : ١٤ . لأن قيام وحياة الذين يحبون الله فرامها المحبة فقط .
بذلك استطاع موسى أن يحتل صرماً متصلاً لمدة أربعين
يوماً ، حينما كان يأخذ التحليات المتعلقة بالناموس على الجبل
وكان يتغذى بالتأمل في الله . وبذلك أيضاً أمضى هو نفسه
أربعين يوماً دون أن يتناول طعاماً ، حينما كان على وشك
الاتصال بالله بقدر الإمكان ، في مغارة حوريب .

ومن أجل ذلك ، قبل إيليا برسولات الشعب الذي كان قد
 اخطأ وخلصه من غضب الله ، فأوقف الله المطر ، وليس ذلك
 فقط بل أوقف حتى قطرات الندى لمدة ثلاث سنين وستة أشهر ،
 في الوقت الذي كان الله فيه يعاقب شر إسرائيل بالجفاف . وبعد
 ذلك أحاد إلى الأرض ريبا من جديد بأطار غزيرة جداً ؛
 فبالصلاة التي هي ثمرة الصوم صنع هاتين المعجزتين . هـ موسى
 وهرون بين كهنته وصموئيل بين الذين يدعون باسمه . هـ
 الرب وهو استجاب لهم . مز ٩٩ : ٦ . في الواقع كان يرام
 يرفعون روحهم ويسمون بها نحو كرامتها الأولى ويعذون بها
 جسدهم ، فكان يكافئهم تكدام حقيقيين .

ان الرسل وكذلك الذين تبعهم ، كانوا يمارسون الصوم
 طوال حياتهم ، وكانوا يصنعون كل الاشياء بعد الشروع أولاً
 في الصوم والصلاة .

Les apôtres, ainsi que ceux qui les suivirent,
 pratiquaient le Jeune toute leur vie, et ils
 faisaient toutes choses, après avoir mis en œuvre
 auparavant le jeune et la prière .

ويشهد سفر الاعمال بذلك في هذه العبارات : « وبينما هم
 يعبدون الرب ويصومون قال الروح القدس الفرزولي بولابا

وشاول العمل الذي دعرتهما اليه . فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا
 عليهما الايدي ثم اطلقوهما . أع ١٣ : ٣-٢ .

وفي مكان آخر ، يقول أيضاً بخصوص بولس وبرنابا :
 « وانتخبنا لهم قسوساً في كل كنيسة ثم صلينا باصوام واستودعناهم
 الرب الذي كانوا قد آمنوا به . أع ١٤ : ٢٣ . ولذلك كانوا
 يصنعون عجائب كثيرة ويشفون الامراض من كل نوع .

لكن ، حينما نسمع ذلك ، قد نقول : « ان هؤلاء لديهم
 دافع حقيقي للصوم ، إذ قد وصلوا إلى كمال عظيم بهذا المقدار
 وكانوا تلاميذاً ؛ أما أنا ، فأني رجل خاطيء ولا شيء . »

عجباً في هذا هل كان الصوم نافعاً وضرورياً للرسل ، لكنه
 زائد عن الحاجة لك أنت الخاطيء ؟

نعم ، أقول ، لان هؤلاء كانوا يصومون لكي يصنعوا
 المعجزات والعجائب ، أما أنا فلا أطلب سوى أن آكل وأشرب
 وأسير في العالم دون أن تكون علي أية مسئولية .

ولكن أولاً ، من خواص روح الخنزير والثور ألا تكون
 عنده أية حبة للفصيلة وللشركة مع الله بل بالعكس لا ينظر إلا إلى
 بطنه . ثم ، ان الرسل كانوا يصومون لكي يروضوا أجسادهم ،

ولم يكونوا يعملون بقصد اظهار عجائبهم ؛ لانهم لم يكونوا عبيداً
للجد الباطل .

Ensuite, les apôtres jeunaient pour dompter
leur corps; et ils n'auraient pas leur palais pour
faire montre de prodiges, car ils n'étaient pas
esclaves de la vaine gloire .

وبولس الرسول يشهد بذلك حينما يكتب إلى أهل
كورنثوس : « بل افصح جسدى واستعبده حتى بعد ما كمررت
للأخرين لا اصير انا نفسى مرفوضاً » ١ كو ٩ : ٢٧ .

هكذا إذن فإن هدف الصوم هو قمع الجسد ، وكانت
العجائب من المسيح الذى يصنها ، فكان يكرم فضيلتهم وفي
نفس الوقت يفيد الآخرين الذين كان من أجلهم يحدث ظهور
هذه العجائب ، لكي يؤمنوا بالإنجيل .

لكن سوف نقول أيضاً : « ان هؤلاء كانوا يتحدون الصوم
بسهولة ؛ أما أنا فخينا أصوم ، أظن أن جسدى ينحل وأوصالى
تمزق وتمكاد تزهق روحى » .

لماذا نحاول بهذه الحجج أن نهرب من الصوم ، مثلما يفعل
خادم تجاه سيد شديد ، بينما يأمر الله بما يجلب لك الخلاص ؟
هل تظن فعلاً ، انه كان يعامل جسده بقسوة فليسهل ذلك الذى

يقول : « اقم جسدى » ، لان القمع يعنى القصب « ومن ايام
يوحنا المعمدان الى الآن ملكوت السموات يقصب والقاصبون
يخطلون » مت ١١ : ١٢ .

لكن الذى تصرف هكذا بعنف ، بطريقة خاصة ، جعل من
العنف طبيئته ، لان الله لم يأمرنا أيضاً بأشياء مستحيلة ، بل ذهب
إلى حد القول : « مع المسيح صليت فاحيا لا انا بل المسيح يعيا
في . فها احياء الآن في الجسد فلما احياء في الايمان ايمان ابن الله الذى
أحببني واسلم نفسه لاجل » غل ٢ : ٢٠ .

يجب إذن أن نعامل ميل الجسد إلى الشر بقسوة خفيفة ،
فتدخل حينئذ تعزية الله بدلها ، وكذلك السرور الذى يتأتى
عنها الذى يتم الكلمة المليئة بالفلسفة التى قالها المرتنم : « عند
كثرة همومى فى داخلى تعزباتك تلذذ نفسى » مز ٩٤ : ١٩ .

Il faut donc que nous traitions avec une
légère violence la concupiscence de la chair; et
il entrera désormais à la place de celle-ci la
consolation de Dieu, ainsi que la joie qui en
vient, laquelle accomplit la parole pleine de
philosophie dite par le psalmiste .

منذ ذلك الحين فإن السعادة التى تتبع ذلك ، تسرى ذاتها فى الجسد
وتجعله ناجحاً وبصحة جيدة كما هو مكتوب : « القلب الفرحان

يجعل الوجه طلقاً وبعزق القلب لتسحق الروح، أم ١٥ : ١٣
 إذا كانت عين الروح منطوية وإذا كانت تتلذذ بالتأمل
 السامى وبالاعلانات السماوية ، فإن ظهور هذه السعادة والفرح
 بها يسيان أيضاً في العظام ويدخلها مثل العطر. وهذا ما يؤكد
 الكتاب المقدس بقوله : « نور العينين يفرح القلب » . الحبر الطيب
 يسمن العظام ، أم ١٥ : ٣٠ .

ثم يستشهد القديس ساويرس بالقديس أناسيوس فيقول :
 « كتب القديس أناسيوس ، الشعلة السماوية بين الاساقفة ،
 شيئاً مما خلا في سيرة حياة القديس انطونيوس ، قدوة حياة
 النسل . كان القديس انطونيوس فملاً قد ذهب إلى مكان في هذه
 المناطق التي لم تطأها الاقدام ولا عاش بها إنسان ، وموغل في
 الصحراء الداخلية ، ومكث هناك طويلاً في حياة قاسية وشديدة
 جداً أبعد من كل حد . وحدث أن بعض الناس ضايقوه بعد أن
 فتحوا بابه بقوة شديدة . يقول أناسيوس : « فخرج انطونيوس
 إليهم ، كما من داخل مكان مقدس لا يصل إليه أحد متعلماً من
 الاسرار وتمسكاً باقه . وكانت هذه هي المرة الأولى التي يظهر
 فيها خارج قلعة الذين أتوا ليبشروا عنه . وحينئذ رأوه تمجبوا
 فقد كان لجسده نفس الشكل ، لم يكن قد سمن بسبب قلة التمرين ،

ولم يكن أيضاً قد نحف بسبب الاصوام ومحاربة الشياطين ،
 لكنه كان كما عرفوه قبيل ذهابه . ومن ناحية أخرى فقد كانت
 لروحه صفات طاهرة ؛ فلم تكن في الواقع منكسرة (abattué)
 بسبب الحزن ، أو متراخية بسبب اللذة ، ولم يكن يأخذ بها
 الضحك أو الكآبة لأنه لم يضطرب لرؤية الجمع ، ولم يفرح
 بتحيات كل هؤلاء الزوار . لكنه في كل شيء كان رزيناً يتقصد
 بالمقل لأنه كان على صحته .

Mais en tout il était égal comme s'il eut été
 conduit par la raison et parce qu'il était dans
 la nature .

هكذا إذن فإن الإنسان بالطبيعة يهيء قوة للروح
 بالاصوام وبأعمال حياة النسل وتغذية الجسد بالاعذية الغير
 مادية التي تليق بها .

لكن متى نفل خارج الطبيعة ونحسب بمهالة ، أننا نقطع
 أسباب هذه الحياة الغير مجدية ، لو حفظنا الصوم في هذه الأيام
 القليلة ؟

فإن لم يكن لدينا حافز على الصوم باعتباره فضيلة أفلا نكرم
 ابن الله ، الكلمة السكائن قبل الدهور الذي تواضع من أجلنا ،

الغضب . وهذه الأيام المقدسة المكرمة هي نوح من المعونة لنا ، فلنتنزه الفرصة ، والذي مجد هذه الأيام بآلامه شخصياً وبقيامته ، سوف يسمع لنا ويخلصنا . له المجد إلى أبد الدهور آمين .



(1) Ces jours saints et Vénérables sont pour nous une sorte de secours .

لدرجة أنه نزل أيضاً من السماء ، وتجد وتأنس بدون استحالة . وقدم ذاته فداء عنا بالصليب لكي يظهر العالم ، ونالم بالجد ، إلا نكرمه نذكراً لآلامه وقيامته ، إلا نسلم له فتتالم بالصوم عوضاً عن آلامه من أجل خلاصنا ؟

الأ ترى أن محاربة الشياطين على الأبواب ؟ ما كنت أقول لكم ذلك مقدماً ، ان لم يكن هناك من يستهزئون قائلين : وحتى متى هذه التوسلات العلية ، وهذه القداسات المرتلة وهذه الصلوات ؟ ، هل تبقى إذن تحت هذا الاحتقار ؟ عندما تقوم الأعداء علينا ، فإننا نحمل الأسوار والأبواب ، محارلين درة الهزيمة ، أفلا نحمل أنفسنا حينما مهاجمنا الأرواح اللعينة الشريرة للغاية ، أعداء البشر ، بسبب خطايانا ، ألا تدافع بالصوم الروحاني : الصوم والصلاة ؟

ومكتوب : « هذا المجلس لا يمكن أن يفرج بشيء إلا بالصلوة »

والصوم ، ص ٩٠ : ٢٩ .

لا نياس إذن ، ولنتب كلية ، دون أن نرجع أبداً إلى الورا ، لأن ساعة واحدة من التوبة الحقيقية تكفي لإبعاد أشد